بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المؤمن السعيد بالحياة الطيبة يُبتلى من الله تعالى لتثبيته في الدين، ورفع درجاته في عليين وتكفير سيئاته وشعوره بالتفريط في حق الله تعالى، ليأتي الله تعالى بقلب سليم، ولا يكون هذا إلا بذلك الابتلاء، ولا يلزم من الحياة السعيدة أن لا يُبتلى العبد، فتنبه

* فإن المتدبر لنصوص القرآن والسنة في ابتلاء العبد المؤمن، وما تنطوي عليه من أسرار؛ يلحظ أن الشارع الحكيم يتجه العبد المؤمن، ويرتقي به في مدارج السمو والرفعة في الحياة الدنيا والآخرة، ويمحو ذنوبه، ويكفر سيئاته، ويحصل علىٰ رضا الله تعالىٰ في دنياه وآخرته.

* ولقد بين الله تعالىٰ من أنواع الابتلاءات التي تصيب عبده المؤمن، وكذلك بين النبي صلىٰ الله عليه وسلم ذلك، مع بيان سعادته في الدارين بهذا الدين، مع ابتلائه.

* ولا تنافي بين سعادة العبد في الحياة الدنيا، وبين الابتلاء، وما يتحصل له بشيء من الضرر في حياته، سواء بسواء، مع بقاء حياته السعيدة.

يعني: لا يلزم من الحياة السعيدة أن لا يبتلىٰ العبد المؤمن، فيبتلىٰ لكي ينال أعلىٰ الدرجات في الجنة؛ لأن اقتضت حكمة الله تعالىٰ، ومضت سنته من ابتلاء عباده، فيميز الأحسن خلقـًا وعقلاً، والأورع عن محارم الله تعالىٰ، والأسرع في طاعته.

* ومن هنا؛ فإن كل ما يبتلىٰ الله تعالىٰ به عباده من فتنة أو ابتلاء، أو ضرر، تميز بين الصدق، وبين الكذب؛ فيختبرهم ليتبين الصادق منهم من الكاذب.

وهذا الابتلاء لعباد الله سنة ماضية في كل وقت في الأولين والآخرين من خلقه.

قال تعالىٰ: {أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} [العنكبوت: ٢، ٣].

وقال تعالىٰ: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ} [الملك: ٢].

* واعلم أن الابتلاء والفتنة من الله تعالىٰ للعبد كل بحسب إيمانه ودرجته.

والله تعالىٰ يبتلي العبد حتىٰ يتعظ في هذه الحياة، ويشعر بالتفريط في حق الله تعالىٰ.

قال تعالىٰ: {وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} [الأنبياء: ٣٥].

وقال تعالىٰ: {وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا} [الفرقان: ٢٠].

* ومن هذا المفهوم نستطيع أن ندرك حكمة الله تعالىٰ في مختلف الابتلاءات؛ فإنها تترتب عنها نتيجة، ونهاية في نجاح المبتلي، أو سقوطه.

والعبد المؤمن في هذه الدنيا لا يمكن أن يبقىٰ مسروراً دائماً؛ بل هو يوماً يُسَرُّ، ويوماً يحزن، ويوماً فهو مصاب بمصائب في نفسه، أو في ماله، أو غير ذلك.

ولكن المؤمن أمره كله خير، إن أصابته ضراء فصبر فكان خيراً له، وإن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، فهو في جهاد، وهذا الجهاد له في كل يوم الأجور الجزيلة من الله تعالىٰ، وهذه الأمور ترفع في صحيفة العبد إلىٰ الله تعالىٰ في كل يوم مرة في النهار، ومرة في الليل، فيبشر العبد بعد ذلك.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في ((إعلام الموقعين)) (ج١ ص٧٧): (إن العبد لا يستغني عن تثبيت الله تعالىٰ له). اهـ

فإذا أصيب العبد المؤمن بمصيبة، فلا يظن أن هذا الهم الذي يأتيه، أو هذا الألم الذي يأتيه، أنه يذهب عليه سُدًى، بل سيعوض عنه خيراً منه.

سيمحو الله تعالىٰ ذنوبه، ويكفر عنه سيئاته، وعلو في درجاته في الدنيا والآخرة، ويحصل له زيادة الإيمان، وقوة في التمسك في الدين، وبركة في الرزق، وزيادة في الحسنات، وحصول الثواب، ورضا الله تعالىٰ علىٰ عبده المؤمن في الدنيا والآخرة، حتىٰ أنه إذا لاقىٰ الله تعالىٰ نسىٰ كل حزن، وهم، وألم.

ولهذا ينبغي للعبد المؤمن إذا أصيب بشيء من الابتلاء، فليتذكر الأجر من الله تعالىٰ وثوابه، حتىٰ يؤجر الأجل الجزيل، وهذا من نعم الله تعالىٰ علىٰ عبده المؤمن.

فالمطلوب من المؤمن في الابتلاء أن يصبر، ويثبت، واثقاً بالله تعالىٰ، وأنه معه وناصره مهما يحصل له من ضرر، ومكفر عنه سيئاته، ورافعه في أعلىٰ الدرجات في الجنة وحصول له من السكينة والطمأنينة في نفسه في حياته إلىٰ أن يموت، فإذا لاقىٰ الله تعالىٰ ورضىٰ الله عنه وأدخل الجنة نسىٰ كل شيء مما حصل له من الآلام والأضرار، ووعد الله حق.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في ((طريق الهجرتين)) (ج١ ص٨٣): (ولهذا كان الدين كله، في قوله تعالىٰ: {فاستقم كما أمرت} [هود: ١١٢]). اهـ

كتبه:

أبو عبد الرحمن فوزي الأثري